# جيل وجيل !

للأستاذ محمود البشبيشي

من الأجيال ما يطويه الزمن تبعاً لقانون الحياة ، ولكنه يطوى الزمن تبعاً لقانون الفكر ، فلا يذهب الزمن إلا بأهله ، ويذهب فكر أهله فى الزمن كل مذهب ! والذى يطيل فى عمر الأجيال برغم فنائها ، ويُقصر فى عمرها وهى على قيد الحياة ، هو قوة الروح فيها ، وحيوية الفكرة فى مجموع أفرادها

... هذا ما أوحاه إلى حديث بينى وبين ولدى « حسين » وهو شاب له نظرته الخاصة فى نثره وشعره ، لا يعترف بنظرة غيره إلا بمقدار ما فيها من صلات تربطها بفكرته وبصدق المنطق والعقل ...

... تناقشنا ، فكنت أنا وحجتى أمثل جيلاً مضى ، أو أوشك أن يمضى ، يحاول أن يُحرج ويُقنع ويُصلح جيلاً جديداً تجسم فى نفس ولدى وفكره ... وكان هو مؤمناً كل الإيمان بقوله ، وإذا وجد الإيمان تفتحت أكمام الحياة والغاية عن ثغور النجاح باسمة جميلة ...

... وحاولت أن أفهمه أن البقاء للقوى ، وأن الذى لا يحسن نفسه ، ولا يتخذ الأهبة لقاء الشرور والأفراح معاً لا يستطيع أن يقف على قدميه طويلاً ، واضطرب أمام النسيم المار قبل العاصفة الشديدة ، وجار عليه كل من اتصف بالقوة وتحصّن بها ... شخص كهذا يقطع مسافة عمره كما يقطعها الحيوان والنبات ، لا يسلم من اعتداء القوى والضعيف !...

حاولت أن أفهمه هـذا فقال : إذن فأنت ترى أن البقاء للقوى ، وأن الذى لا يتصف بالقوة مثله كمثل النبات والحيوان الضعيف ، وظاهر قولك من حكمك على النبات بالضعف أن الإنسان يزرعه ليقلعه ! وهذا ما يحدث ... ولكنى لا أرى ضعف النبات كما تراه أنت ضعفاً بمعناه الذى هو ضد القوة ، بل أراه قوة البقاء فى النبات ! فالقوة عندى ليست تلك التى يقع تحت صفاتها التدمير والجور والشدة ، وإنما هى قوة الروح فقط !

... وهذا الضعف فى النبات هو أسمى درجات قوة الروح ، فأنت لا تقتلع النبات إلا بعد تمام اكتماله ، أى بعد تمام قوة الروح فيه ، فتستفيد منه بعد ذلك غذاء وبناء للأجسام ، وهذه الفائدة هى قوة الروح فى النبات ، فهو لا يفنى لضعفه ، إنما ليكوّن حياة أخرى ويجدد بناء آخر ، الفضل فيه لقوة روحه الكامنة فى عناصره ...

هكذا النبات ، وفلسفة الطبيعة فى النبات ، يضعف ليخلق قوة ، ويفنى ليجدد حياة ... وليت الإنسان كذلك ...

— لقد أصبت فى ذلك يا بنى ، ولكن الذى يصلح للنبات قد لا يصلح للانسان ، والذى تراه أنت فلسفة فى طبيعة النبات قد لا تعترف به العقول البشرية — لا لضعف فيه — وإنما لأن هذه العقول قد اختلط بها من صفات الحياة القبيحة الكثير ، فامتزج بها الطمع ، ودفعها إلى حب السيطرة على أشياء الغير ، فكانت العداوة ، وكانت البغضاء ، وشعر الإنسان بأن لا أمان من جانب أخيه الإنسان ، وصار كل فرد إذا صادق ونسج ثوب الوفاء ، نسج بجواره ثوب الرياء ؛ وإذا أخذ العدة لحسن اللقاء ، أخذ الأهبة لدواعى الفراق ، فاضطربت الحياة ... لهذه الأسباب يصعب تطبيق فكرتك على حياة الإنسان ، ويصدق منطقها فى حياة النبات ، لأن الطبيعة عادلة فى تصرفاتها ، فلم تر نباتاً اعتدى على نبات ، فظهر فى زمن نبات آخر . كل شىء يسير فى الطبيعة وفى منطقه عدل وحكمة ، فللقمح ميعاد ، وللقطن ميعاد ، ولا يصلح الأول فى زمن الثانى . وهكذا سائر النبات ... فهل الإنسانية كذلك ؟ لو كانت كذلك ما اشتعلت يا بنى

---

إذا استطاع طلبة السنة التوجيهية أن ينجحوا جميعاً فى المسابقة بتفوق مرموق ، وأن يقهروا الدولة على قبولهم بكليات الجامعة المصرية بالمجان ، فسيكون هـذا التفوق غرة فى تاريخ مصر الحديث

إن الدولة أمكنتكم من ناصيتها المالية ، يا طلبة السنة التوجيهية ، فعلّموها كيف تهرب من التمرض لذكائكم الموروث ، فما كنتم ولن تكونوا إلا أزكى نبات فى أخصب أرض ، وفى رعاية أصفى سماء

أنا معكم والله معنا ، ونحن بالصدق والعزم أقوى من وزارة المعارف ومن الجامعة المصرية

وإلى الأسبوع المقبل فى تشريح كتاب حافظ عفيفى باشا . فلكتابه مَذَاقٌ خاصٌ ، لأنه يقدّم سوراً من أفق بعيد هو بلاد الإنجليز .

زكى مبارك

اليوم النيران، واضطرب ميزان الحياة، وذهبت الرحمة من القلوب

فقال: ليس معنى هذا أن الفكرة غير صائبة، وأن فلسفة الطبيعة فيها نقص، بل لعل ذلك يثبت ضلال الإنسانية وتحكم شهواتها فى ميولها ونزعاتها الفكرية

— هذا حق يا بنى، ولكن ما فرّط الناس فى أمور دنياهم والإنسانية والروابط الدينية، إلا منذ أن فرطوا فى شخصيتهم وأخلاقهم، فأصبحوا لا يحكمهم شعور حى، ولا يقيد شرورهم رحمة، وساء تقديرهم للأشياء، فعبدوا الكم، وابتعدوا عن الكيف! ونشأ فيهم اختلاف الطبقات، فقدروا الغنى بالمال، والفقر بقلّته، ما أبعد القوم عن الصواب... ما أبعدهم!

ورب فقير له من عزة نفسه ثروة تسجد أمامها جبابرة المسنين... ورب غنى تمر به الأيام كما تمر على الجماد لا تشعر به لأنه فقير الروح!

— أنت ترى يا والدى أن سبب انحدار الإنسانية هو التفريط فى أمور الدنيا والدين... وأنا أرى أن السبب هو فساد التأمل فى أفرادها واختلاطه بحب الذات، فأصبح الإنسان لا يرى الشىء حسناً إلا إذا كان له نصيب من حسنه!... ولكن هناك تأملات نقية وتأملات ساقطة... وأكبر الظن أن سر اضطراب الإنسانية اليوم هو تغلب التأملات الساقطة التى غلب عليها حب الذات... ولا بد للحياة من تأمل... إما فى غاية الحياة ومثلها العليا الإنسانية، وإما فى الخلاص من قيود الحياة ومثلها الإنسانية العليا. وفرق بين التأمل الأول والتأمل الثانى

يصل بك الأول إلى النهاية — إذا صدقت فيه — ولم تأخذ فى ظنون الأمور بيقينها.. وهذا النوع كان موجوداً فى أيام طفرة الإسلام الأولى، أيام كان تأمل الرسول الكريم يتغلغل فى المسلمين جميعاً... ما أحوج الإنسانية اليوم إلى هذا التأمل، فإنه إذا وجد فى أمة بثّ فيها روحاً يجعلها لا تصلُ بين شرّيرها ومجاهدها الصادق إلا بمقدار ما يُصلح الثانى من أمر الأول، ولا تحث على جوار النقائض إلا بمقدار ما يُشعرُ الحسنُ القبيحَ بأن فيه قبحاً!!

— إذن أنت ترى يا بنى أن الإنسانية اليوم تأملت، ولكن فى الخلاص من قيود الحياة وثقل مُثلها الإنسانية وتبعاتها... هذا حق يا بنى، فإن الفضائل اليوم أصبحت قيود الحياة، لأن الإنسان قد غرق فى الشهوات وحب الذات، ولأن نفسه قد فسدت فرأى الشرور فضائل!!

وما هذه الحرب الضروس غير صورة لفساد تأمله... لقد صبغت الحرب يا بنى كل شىء فى الحياة بصبغة سوداء، ظاهرها الخوف وباطنها الموت والدمار، فدعنا من فلسفة تقودنا إليها، وعرّج بنا على ناحية أخرى... فقد عرفت منك أن للتأمل أساس الحياة، وأن هناك تأملاً فى غاية الحياة ومثلها، وتأملاً فى الخلاص من غاية الحياة ومثلها وتبعاتها، وأن الجيل يفسد بفساد تأمله، كما قلت لى إن القوة هى قوة الروح، وإن الضعف والفناء قد يكونان قوة سامية ما دام الضعف يولد قوة، والفناء يجدد حياة... عرفت كل هذا فأحسست أن الجيل الحديث — متجسماً فى روحك وفكرك — يختلف كل الاختلاف عن جيلنا الذى ذهب بعضه وبقى بعضه! وأدركت أن الأجيال تتأثر بالفكرة التى تتولد فيها وتمتاز بها، ولكنى لا أزال أشعر بامتياز جيلنا بالقوة والهيبة والشهامة... أحس فيه الهيبة الفطرية التى تتجلى فى رهبة الابن لوالده والتلميذ لأستاذه، وكل الناس أمام رجل الدين. ولا زلت أشعر بامتيازه بسعة المعارف والمدارك وقوة الصبر والمجالدة. ولعل الدكتور زكى مبارك على حق فى ثورته على شباب الأدب اليوم، وقلة صبرهم واضطلاعهم...

فقال: هذا حديث آخر أحب أن أطلعك على خواطرى فيه، فهنا خزان ماء صناعى يُزوّد بالماء فى كل وقت، وهناك نبع سيال له من طبيعته مدد لا ينقطع، فأيهما تراه أنفع وأفضل؟ إن الأدباء كذلك: فيهم من استفاد علمه وأدبه من كثرة الاطلاع، فهو مقيدٌ بألفاظ محفوظة، وأفكار مسبوقة، وإذا جاء منه الجديد جاء بعد عناء. وفيهم من فطر على دقة الحس وسهولة الطبع، فهو يغرف من بحر متماوج بين وجدانه وعقله. كل أفكاره جديدة لأن شعوره الفطرى يتجدد، ومن هؤلاء الفلاسفة من الشعراء والكتاب، وقد يكون بعض الشباب اليوم من النوع الثانى

— هذا حق يا والدى، ولكنك لا تستطيع إنكار فضل الكثير منا، فقد كشفنا لكم ظلمة الطريق وقدنا القافلة وسط تيارات من الشدة والظلم، حتى وصلنا بكم إلى النور، وحتى استطاع الابن منكم أن يجادل الوالد ويناقشه! واضطر الوالد أن يقبل منه النقد لأنه هو الذى هداه إلى سبيله!

— حقاً أنا وغيرى لا نستطيع إنكار قدرة الأستاذ الزيات على حسن الصياغة ودقة المعنى وعبقرية الفكرة، وسهولة الدكتور